صفحة تصدر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية

هذه الصفحة..

صار من الصعب ان نجد مبحثاً معرفياً معاصراً دون ان يكون قد اقام رابطة منهجية او تحليلية او معلوماتية مع علم النفس.

فلدينا اليوم سايكولوجية السياسة، وسايكولوجية الدين، وسايكولوجية الحرب، وسايكولوجية الاقتصاد، وسايكولوجية الادارة، وسايكولوجية الادب، وسايكولوجية الفن، وسايكولوجية الطب، وسايكولوجية الهندسة، وسايكولوجية التكونولوجيا. وكلّ من هذه الاختصاصات اصبح يشكل وتداً اكاديمياً قائماً بحد ذاته داخل حقول المعرفة الاجتماعية الباحثة عن استنباط اطار قوانيني للسلوك البشري، فردياً وجمعياً، تفسيراً وتنبؤاً، تحليلاً وضبطاً.

وتجيء صفحتنا الرائدة هذه محاولة لربط احداثيات واقعنا الاجتماعي المتأزم بمديات نفسية، غايتها تشريح الاحداث والظواهر والمعطيات بمنظار مختلف عما الفه القارئ في لغة الصحافة اليومية. نود ان نبشر بثقافة نفسية تتحلل في موشور قرائنا الى ثقافة للعقل وثقافة للحرية وثقافة للامل. نود ان نجعل من بعض هموم هذا الوطن لغة قابلة للفهم والشفاء.

واذا كانت دائرة العبث والعنف تتسع كل يوم خارج ارادتنا، فليس لنا الا ان نقاوم موضوعياً هذا التصدع، برصنا لهذه السطور المفكرة التي لا تدعي لنفسها مآثر او انتصارات، بل شيئاً من حقائق واضاءات.

المحرر

قراءة في قانون ادارة الدولة العراقية

تهميش الحقوق النفسية والاجتماعية للانسان العراقي

فارس كمال نظمي/ جامعة بغداد

لعلها مفارقة مؤلمة تستثير الاسى والتأمل معاً، ان شعب العراق الذي بلور للمرة الاولى في التاريخ الوعي بفكرة ((ان العدالة شيء من حق كل انسان))، وتحديداً في الالف الثاني قبل الميلاد (اي في عصر شريعة حمورابي وملحمة جلجامش)، هو ذاته الشعب الذي ابتلى بعد ذلك بأكثر من اثنين وعشرين قرناً بظلم فنتازي مركب الابعاد والمصادر والغايات عبّر عنه شاعر عراقي واكب المأساة كلها بسؤاله المرير: ((هل دمنا فهرس الظلم؟))(١)

واقول: الم يحن الاوان بعد، بوصفنا جماعة بشرية لها اسسها التكوينية النفسية والتاريخية، ان نقترح فهرساً جديداً لدمنا الذي نزف بسخاء على مذبح زعماء محليين كانوا مصابين بالسايكوباثيا السياسية وبارانويا "التاريخ" وسادية احواض التيزاب، آزرهم وموّلهم طوال اربعة عقود زعماء وجنرالات وتجار غامضون وراء البحار، صرنا نراهم اليوم وجهاً لوجه يجولون شوارعنا ومدننا ويتكلمون بأسمنا بعد ان غيّبوا هويتنا تحت رماد الحروب والحراب؟!

واذا شئنا ان نكون واقعيين بخصوص الكيفية التي نؤسس بها هذا الفهرس الجديد، منطلقين من فكرة ان الواقع (بكل ثغراته وسلبياته) يظل الموقد الجدلي لصهر سبيكة الافكار والتصورات التي يمكن ان تستثمر لاحقاً لصنع مواقد (واقع) افضل، فلا ضير ان ننظر بدءاً الى قانون ادارة الدولة العراقية الصادر عن مجلس الحكم الانتقالي المعيّن من سلطات الاحتلال الامريكي، بوصفه محاولة (عملية) لوضع فهرس جديد يزعم حماية الكرامة العراقية. ولن نتوخى في هذه السطور اجراء تقويم شامل او اصدار حكم سياسي او قانوني على مدى صلاحية هذا الدستور او شرعيته من عدمها، بل نريد تسليط شعاع نفساني ناقد على بعض مواده، واقتراح مواد اخرى اساسية (غابت) عن اذهان المشرعين له.

لننطلق اولاً من مبدأ جوهري نتبناه لنقيم عليه تحليلنا:

الى جانب الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والثقافية، نؤمن ان لكل انسان منظومة متكاملة من الحقوق النفسية والاجتماعية ينبغي توفيرها وحمايتها واستعادتها اذا ما انتهكت، إذ تشكل هذه الحقوق بإجتماعها مضموناً جوهرياً يدخل في صياغة مفهوم "الكرامة البشرية". ومن بين اهم هذه الحقوق على سبيل المثال لا الحصر (ودون تسلسل): الشعور بالعدالة والحرية والامان والجمال والتسامح وبالانتماء الى المجتمع المحلي والانساني وبالفاعلية الذاتية وبالاسناد الاجتماعي وبمتعة الحياة وبإمتلاك هوية نفسية واجتماعية مستقرة، والحماية من التعذيب النفسي والاضطرابات النفسية ومن مشاعر الخوف والشقاء والذل والاغتراب والظلم، وامتلاك معنى ايجابي وبناء للحياة، وتطوير المهارات العقلية الى اقصى الحدود الممكنة، والتمتع بطفولة سوية نفسياً وجسمياً.

ان هذه الحقوق ليست ترفاً فائضاً او حلماً فاضلاً مستحيلاً، بل هي الغاية النهائية المرجوة من كل تشريع او دستور يحترم الكرامة البشرية بوصفها المبتغى الاخلاقي من فكرة وجود الانسان على الارض. وهي تمثل الترجمة الملموسة للديمقراطية الاجتماعية المتمثلة بمبادئ العدالة الاجتماعية وتبجيل الكبرياء الانساني للفرد، وايصاله الى اعلى مراحل كينونته (العقلية والعاطفية) المسالمة والمنفتحة على الوجود بشقيه الطبيعي والاجتماعي . فأي من هذه الحقوق النفسية والاجتماعية تم ادراجه (ضمناً او صراحة) في قانون ادارة الدولة العراقية؟ ان جرداً شاملاً لمواد هذا القانون كماً ونوعاً، يشير الى ميله الواضح لتوكيد مبادئ الديمقراطية السياسية (الليبرالية) في مقابل ميله لتهميش مبادئ الديمقراطية الاجتماعية. وهذا يعني افتقاره الى التوازن المرتجى بين كفتي الحرية والعدالة. فالحرية عندما تريد ان تستبق العدالة في بلد باع فيه اساتذة الجامعة حتى الابواب الداخلية لبيوتهم طلباً للقمة العيش، فلا ريب انها حرية الانسان في ان يجوع اكثر ويغترب ابعد ويقسو اشد. فلندقق في بعض مواد هذا الدستور، مستدلين على طبيعة مضامينها الحقوقية، مقترحين افكاراً محددة لتطويرها:

★ تألف القانون من (٦٢) مادة جرى التطرق ضمناً في (٤) مواد منه فقط (المواد: ١٢/١٣/١٤/١٥) الى الحقوق النفسية والاجتماعية للفرد، من خلال الاشارة الى حق الامن، وحرية التعبير، والخصوصية، والتعليم، والعناية الصحية، والضمان الاجتماعي، والرفاه، وفرص العمل، وتحريم التعذيب النفسي، بإستخدام عبارات مقتضبة كما لو انها ادرجت اسقاطاً لفرض. ومعنى ذلك ان هذه الحقوق لم تنل اكثر من نسبة (٦,٤٥٪) فقط من مجمل مواد القانون، اما النسبة الباقية فشملت في معظمها آليات انتقال السلطة الى العراقيين وتداولها خلال العامين القادمين.

مقترح: كان الاصح ان يسمى هذا القانون بقانون الادارة السياسية للدولة العراقية في المرحلة الانتقالية بدلاً من تسميته الحالية، وان يلحق به اعلان لحقوق الانسان العراقي يتضمن تفصيلاً بكل انواع الحقوق ومنها الحقوق النفسية والاجتماعية وآليات ضمانها، يكون بمثابة مسودة للدستور الدائم مستقبلاً.

★ نصت المادة (١٤) من القانون على ان ((للفرد الحق بالامن والتعليم والعناية الصحية والضمان الاجتماعي))، لكنها للاسف لم تنص على حق العمل، بل اكتفت بحث الدولة العراقية لكي تسعى الى توفير ((فرص العمل للشعب)) ، وكأن هذه الدولة شركة تجارية لتشغيل الناس بدلاً من تثبيت حق العمل بوصفه حقاً اصيلاً لكل انسان لا فرصة توهب له، ولا سيما ان نسبة البطالة تبلغ حالياً في العراق حسب الاحصائيات الرسمية (٤٨,٧٪) من السكان النشطين اقتصادياً(٢). كما خلت هذه المادة من تحديد اي اجراءات قانونية عملية لتثبيت الحقوق الى الحد الادنى من الموارد المعيشية اللازمة للتمتع بهذه الحقوق. فنسبة الفقر المطلق في العام ١٩٩٣ م بلغت (٨٩٪) بين سكان المدن العراقية، و (٩٢,٠٥٪) بين سكان الريف (٣). اما ازمة السكن التي تعصف بملايين العراقيين منذ عقود، فإن حلّها (طبقاً لدراسة محلية) يقتضي بناء (٣,٧) مليون وحدة سكنية في خطة انشائية في العام (٢٠١٣م)(٤).

مقترح: تلافياً للنواقص المشار اليها في مواد القانون الحالي، ندعو الى ادراج مواد اساسية اضافية ضمن مسودة الدستور الدائم عند طرحه للاستفتاء في العام القادم، مضمونها ما يأتي:

- اقرار مجانية التعليم بكل مراحله في المؤسسات التعليمية التابعة للدولة.
- اقرار مجانية العناية الصحية في الوحدات الصحية التابعة للدولة، واقرار آلية للتأمين الصحي لجميع فئات المجتمع.
- ضمان السكن لكل مواطن، بأن تكفل الدولة تمليك وحدة سكنية لكل اسرة نووية يثبت افتقارها الى سكن عائد لها في ملكيته.
- ضمان توفير مساعدات مالية ثابتة للعاطلين عن العمل، وفق سياقات تتلاءم مع الخلفية التعليمية والمهنية للعاطل عن العمل.
- اقرار ضمانات مالية واجتماعية للمتقاعدين، تتمثل بوضع حد ادنى للراتب التقاعدي لا يقل عن نسبة (٨٠٪) من آخر راتب تقاضاه المتقاعد قبل احالته على التقاعد، فضلاً عن التأمين الصحي له وامتيازات اخرى تتعلق بإستخدامه لوسائل المواصلات العائدة للدولة او للقطاع الخاص.

★ خلا القانون من اي مادة تتعلق بحقوق الطفل العراقي بعد عقود من التجويع ورعب الحروب. فالعنف الذي هدد وما يزال يهدد تماسك المجتمع العراقي، انما تكمن جذوره التأسيسية في شخصيات الاطفال التي نشأت في ظل هواجس الخوف من الغد، وعدم تقبل الآخرين والاعجاب بالقوة التدميرية للاسلحة، وتغييب فكرة الوطن.

مقترح: ادراج مادة في مسودة الدستور الدائم خاصة بحقوق الطفل وكرامته وضمان امنه النفسي، تكفل مجانية الغذاء والتعليم والرعاية الصحية في المدارس ورياض الاطفال، وتوفير مدخرات مالية تراكمية كل طفل يبدأ تسجيلها لصالحه منذ ولادته، ليتسلمها عند بلوغه سن الرشد، واقرار حقه الطبيعي في الحماية من الايذاء النفسي والجسدي من اي مصدر كان.

تشير التجربة الانسانية عبر التاريخ، فضلاً عن نتائج البحث العلمي في ميدان العلوم الاجتماعية، الى ان الطريق الى ارساء ما اشرنا اليه من منظومة الحقوق النفسية والاجتماعية في حياة الناس، يتطلب اولاً تحقيق تحولات جذرية في الفلسفة التي تقوم عليها العلاقة بين الفرد والدولة يعبّر عنها بإقرار مشرّعي دستور الدولة ان للفرد الحق الطبيعي في الحصول على مجموعة من الضمانات الاقتصادية والاجتماعية بوصفها استحقاق له لا منة من احد. وينبغي ان يتم اقرار هذه الضمانات تفصيلياً في لائحة الدستور نفسها، فلا يُكتفى بعبارات عمومية تحتمل التأويل (كما حصل مع مواد الدستور العراقي الحالي)، بل تشرّع هذه الضمانات بوصفها صيغة تعاقد بين الفرد ودولته. ولا ريب ان انجاز هذه التحولات في العلاقة بين الفرد ودولته لا يرتبط بالنوايا الطيبة لهذه الجماعة السياسية او تلك، داخل السلطة او خارجها، بقدر ما يرتبط بخوض نضالات فكرية ونقابية وسياسية تتصل بإنضاج الوعي الاجتماعي بضرورة هذه التحولات واحقيتها. وليس من الواضح ما اذا كان هذا الوعي قد تحقق جزئياً او كلياً في عراق اليوم (بفئاته الاجتماعية ونخبه السياسية) بعد عقود من تكريس الاغتراب واليأس والخوف والانانية في النفوس، إلا ان ما يهمنا في هذه اللحظة العراقية المدججة بدماء الامس وبارود اليوم وحمائم الغد، أن يحاول مثقفونا المتنورون استباق هذا الوعي ومغازلته بجذبه الى مستوى اعمق من ادراك قضية الحق والعدل، ما دام الفكر الاصلاحي هو احد الاحداثيات السببية في دورة التطور الخالدة. فإذا كان قانون الدولة العراقية قد صاغه مشرّعون لهم جذورهم الفكرية ومصالحهم الاقتصادية المحددة لدرجة وعيهم له جزءاً مما يفتقده عساه يتقدم خطوة اخرى على طريق الابراء الجذري لجراح هذا الشعب، من خلال الحوار الهادف الى الارساء التدريجي لقواعد دستورية وقانونية تكفل الحقوق النفسية والاجتماعية للانسان العراقي بوصفها الغاية النهائية التي تتجه صوبها كل الحقوق الابتدائية الاخرى: المدنية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

الهوامش

١.الشاعر عدنان الصائغ/ نشيد اوروك ١٩٩٦م.
٢. تقرير مؤشرات الاقتصاد العراقي/ وزارة التخطيط والتعاون الانمائي/ شباط ٢٠٠٤م.
٣. المسح الاقتصادي والاجتماعي للاسرة العراقية/ الجهاز المركزي للاحصاء/ ١٩٩٣.
٤. دراسة "سهير السنوي"/ تأثير الحصار الاقتصادي على تفاقم ازمة السكن ودور المرأة في المستوطنات البشرية وتأمين المأوى/ بغداد ١٩٩٩م.

الهموم النفسية لطلبة الجامعات العراقية

نادية صفر البياتي

يحظى طلبة الجامعة بنسبة تمثيل مهمة داخل المجتمع، فضلاً عما يتمتعون به من صفات الحيويه والاندفاع والمهارة والتي تتطلب ان يحظو بأولوية واضحة بين الفئات الاجتماعية الاخرى بوصفهم مشاريع لقادة المستقبل وطاقات المجتمع الفكرية والانتاجية وعليهم يقع العبء الاكبر للنهوض بالمهمات التنموية ومجابهة كل التحديات والاخطار التي تحدق بالوطن.

الا ان الهموم النفسية والمشكلات المتنوعة التي يعاني منها الطلبة سواء تلك التي ترتبط بمعطيات الازمة الراهنة التي يمر بها المجتمع العراقي او تلك التي تمتد جذورها الى الحقبة السالفة، من شأنها ان تؤثر سلباً على معنوياتهم وطموحاتهم وتدفع بهم الى التخلي عن ادوارهم الحقيقية ومهماتهم الاصيلة في المجتمع، فتغيب فاعليتهم من ظلمة اليأس واللاجدوى. ونبدأ بالتعرف تباعاً على طبيعة هذه الهموم من خلال استطلاع آراء الطلبة وتصوراتهم وتحليلاتهم لأوجه المعاناة والازمات التي يعانون منها في جوانب عديدة من حياتهم الاكاديمية والاجتماعية:

هموم دراسية

★الطالبة (ص.ع)/ جامعة بغداد/ كلية اللغات/ تقول ان اساليب التدريس وطبيعة المناهج الدراسية لا ترضي الطموح مطلقاً فهي غير مواكبة للعصر لذلك اتمنى ان تكون هنالك اساليب ومناهج اكثر تطوراً لكي نرتقي الى مستويات افضل.

★ اما الطالب (حيدر علي) من اكاديمية الفنون الجميلة/ قسم السمعية والمرئية يقول: لا يخفى على الجميع الظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق والتي انعكست بالتالي على حالتنا النفسية بإختصار اود القول بأننا نعاني كثيراً غير ان اشد ما يؤلم في هذه الظروف هو سوء معاملة بعض الاساتذة لنا وافتقارهم للاسلوب المرن.

وتحدد الطالبة (أ.ي) من الكلية التقنية/ قسم المحاسبة/ ان المشكلة الاساسية التي تعاني منها هو (التطبيق) العملي في الدوائر اذ نحن ملزمون بذلك ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك ..؟ والعديد من الدوائر والمؤسسات باتت مدمرة وان وجدت فهي بعيدة عن مكان السكن..

اما عن مشكلة ارغام الطلبة على قبول اختصاصات لا يرغبون بها فتحددها بدقة الطالبة (ص. ح) كلية اللغات/ قسم الايطالي/ اذ تقول:

- انا اشعر بأن هذا القسم قد فرض عليّ قسراً وانا اعلم بأني لست الوحيدة التي تعاني من هذه المعضلة حيث ان الكثير من الطلبة يدرسون في اقسام هي بعيدة كل البعد عن رغبتهم وطموحاتهم والاكثر من ذلك فأنا لا امتلك الامكانية الكافية كي اغير كليتي او ان التحق بالدراسة المسائية.

المستقبل .... وتحقيق الذات

الطالب (حسين عبد الهادي)/ كلية الفنون الجملية/ قسم التشكيل/ يقول: السؤال الذي يتبادر الى ذهني دائماً هو ترى ماذا سأفعل بعد التخرج خاصةً عندما اقارن نفسي مع الذين اتوا من الخارج واتحسر عندما اجد نفسي امتلك الموهبة وقد تكون اكثر منهم لكنني افتقر للخبرة التي اكتسبوها في الخارج.. ابسط ما يمكن ان يقال هو انني لا امتلك جهاز كومبيوتر..!

★ الطالب (علي عبد الرحمن) الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ يقول: الاوضاع المتوترة واليأس من فكرة ايجاد وظائف مناسبة بعد التخرج تجعلنا نفكر في بعض الاحيان بأن نرسب عمداً... فهذا افضل من الجلوس في البيت..!!

وتذهب الطالبة (ز.ج) / جامعة بغداد/ كلية اللغات مسافة ابعد في تشاؤمها فتقول: المستقبل بالنسبة لي صورة معتمة غير واضحة الملامح بالاضافة الى انني متأكدة من عدم الحصول على وظيفة مناسبة بعد التخرج في هذه الظروف التي نمر بها .. لذلك اشعر بأنني سأتعب واكافح واجتهد لأحصل على الشهادة ليكون مكانها في النهاية على جدران بيتي..!!

والطالبة (م.ب)/ جامعة بغداد/ كلية اللغات/ قسم روسي/ تعبر بصراحة عن اكتآبها، فتقول: بسبب الاوضاع المتوترة التي نمر بها فأنا افتقر الى الدافع او الحافز الذي يجعلني اجتهد واكافح من اجل النجاح.. كيف وانا اشعر باليأس من كل شيء حولي ..!

توتر العلاقات الاجتماعية

والطالبة (هـ.ح)/ جامعة بغداد/ قسم علم النفس/ توضح احدى اوجه همومها في الجامعة بقولها: ان العلاقات بين الطلبة اليوم داخل الحرم الجامعي سواء كانت قائمة على الزمالة او الصداقة او الحب، علاقات يشوبها الشك في كثير من الاحيان وتكتنفها عدم الثقة..!

- اما الطالب - (عمر عباس)/ الجامعة المستنصرية/ كلية العلوم/ فينتقد العلاقات العاطفية لكونها هامشية وتفتقر الى المصداقية اما العلاقات الناجحة فلا تزيد نسبتها عن ٥٪ برأيه.

★ وتعبر الطالبة (م.ط) / كلية الفنون الجميلة/ قسم السمعية والمرئية/ عن وعي نفسي واجتماعي ملحوظ بأزمة المرأة في المجتمع اذ تقول: ان المشكلة الرئيسة التي تعاني منها المرأة بوجه عام والطالبة الجامعية بوجه خاص هي نظرة الانتقاص التي لا زالت توجه اليها في مجتمعنا، لماذا..؟! الآن الرجل يعطي لنفسه حق التصرف في كل شيء فقط لأنه يأتي بالمال...؟ وعلى الرغم من ذلك اشعربأن المرأة نفسها التي تفسح المجال للمجتمع كي يقلل من شأنها لذلك عليها ان تعمل جاهدة على تغيير تلك النظرة..

تردي الوضع الامني.. الى متى..؟

الطالبة (ت.ي)/ جامعة بغداد/ تربية ابن رشد/ تقول: من الملاحظ ان الوضع الامني غير المستقر هو من اولويات هموم الطلبة والتي من شأنها ان تؤثر في بعض الاحيان على قرارتهم بشأن اكمال الدراسة.

الطالب (اسعد نايف)/ جامعة بغداد/ تربية ابن رشد/ يقول: ما ان اخرج من البيت حتى اترك خلفي عائلة قلقة تتوجس خيفة مما قد يحدث لي ولا ينطفئ نار القلق الا بعد عودتي الى البيت سالماً ولكن ما يلبث نار القلق يتأجج في اليوم التالي وانا على هذا الحال فماذا افعل..؟ هل اترك الدراسة كي ارتاح ويرتاح اهلي...؟!

ويعبر الطالب (محمد حسين)/ كلية اللغات/ جامعة بغداد/ عن خوفه الصريح بقوله: لا يخفى على الجميع الكوارث التي حدثت في بلدنا اثر الانفجارات التي طالت الابرياء، لذلك انا اخشى كثيراً من هذه المحاولات اذ انها لا تستثني احداً فالكل مستهدف هنا..

اما الطالبة (ا.ق)/ جامعة بغداد/ قسم الآثار/ فتقترح: ارجو ان يكون التفتيش في بوابة الكلية اكثر جدية... لأن دخول الغرباء هنا بات يزيد الخوف بما هو فوق طاقتنا.. اذ كيف نؤمن على انفسنا وابوابنا مفتوحة "للرايح والجاي"..؟!

هل هنالك فعلاً نعرات طائفية

الطالب (علي كاصد)/ جامعة بغداد/ آداب/ يقول:

- اعترف بأن هنالك بعض المحاولات التي اعتقد بأنها جاءت من جهات خارجية لإثارة الفتنة الطائفية لكنها محاولات فاشلة فبالنسبة لي انا اعطي لنفسي الحق في اقامة الشعائر الدينية الخاصة بطائفتي ولكني في نفس الوقت اعطي الحق ايضاً لباقي الطوائف ان تمارس طقوسها وحريتها في التعبير.. فهذه هي الحرية ..!

وتنبه الطالبة (ز.ج)/ الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ الى حالة صار لها حضورها في الوسط الجامعي بقولها: انصح بعض الطلبة ممن لديهم ميول طائفية ان لا يثيروا الفتنة التي ترمي الى عدم استقرار البلد.. والافضل ان يهتموا بالهدف الحقيقي لوجودنا هنا وهو الدراسة وطلب العلم.

اما الطالب/ عقيل رشيد/ كلية اللغات/ جامعة بغداد/ فيقول:

- نحن لا نتمتع الى الآن بحرية الكلمة او حق التعبير عن الرأي فلا فرق بين الحاضر والماضي. فبالامس كنا نعاني من دكتاتورية الفرد الواحد والآن نعاني من دكتاتورية الاحزاب بمعنى اننا لا زلنا تحت ظلم الدكتاتورية ولكن بإطار مختلف.

وتشدد الطالبة (ز.ن)/ جامعة بغداد/ كلية الاداب/ على انتمائها لعراقيتها بقولها: ان الفتن الطائفية هي اول مسمار يدق في نعش الحرية والديمقراطية واود ان اقول ان الجامعة تحوي المسلم والمسيحي والشيعي والسني وغيرهم وكلهم عراقيون لذلك فإن العراق لا يقتصر على فئة معينة فالعراق للعراقيين جميعاً وليكن شعارنا لاللطائفية لا للعنصرية نعم للحرية نعم للديمقراطية.

وفي رأي مشابه تقول الطالبة (هـ.ط) جامعة بغداد/ كلية التربية: هنالك بعض المناقشات والمجادلات العقيمة بين عدة اطراف مختلفة داخل الحرم الجامعي وهي عقيمة لأن الغرض منها هو فرض الرأي وليس الاقناع لذلك فمن الافضل ان لا ندخل في مجادلات ومشاحنات من شأنها ان تحدث صراعات بيننا. فلنتوحد ولنتعاون من اجل مستقبل افضل...

واخيراً اقول: على جميع من له صلة بتلك الهموم ممن تسببوا بها او ممن لهم القدرة على تخفيفها ان يدفعهم احساسهم الانساني تجاه ابناء بلدهم الذين تضن عليهم ظروف الحياة بسبل العيش العصرية، حتى لا يضطروا في وسط هذه الاحوال الى ترك تعليمهم ولنأخذ بأيديهم لتخطي العوائق التي قد تقف حائلاً دون تحقيق ذواتهم واطلاق طاقاتهم الابداعية لذا علينا ان لا نتردد في البذل والعطاء من اجل مستقبل افضل لأجيالنا الفتية المتطلعة الى انقاذ بلادنا وايصالها الى بر الحرية والعدالة.

اخبار الجمعيات النفسية

★ عقدت الجمعية النفسية العراقية ندوتها العلمية الاولى في بغداد . وتضمن منهاج الندوة القاء (١٠) بحوث تناولت موضوعات نفسية ذات صلة وثيقة بهموم الانسان العراقي، من بينها استطلاع آراء اساتذة الجامعة وطلبة الجامعة بالتطورات السياسية في بلادهم، والشائعات في مجتمع ما بعد الحرب، ودور الاعلام في الاحداث الجارية في العراق، والذاكرة النكوصية لدى العراقيين، وسيكولوجية الكتابة على الجدران في مدينة بغداد.

★ من المؤمل ان تقيم مؤسسة (المدى) للاعلام والثقافة والفنون بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية ندوة بعنوان (نحو مشروع وطني لخفض العنف في المجتمع العراقي)، في النصف الاول من شهر مايس القادم.

★ ومن المؤمل ايضاً ان تقيم الجامعة المستنصرية بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية ندوة حول (ظاهرة النهب والفرهود بعد سقوط النظام- تحليل لأسبابها المركبة)، في النصف الاول من شهر القادم.

★ التقى وفد من مركز الرعاية النفسية الاجتماعية لضحايا التعذيب في العراق برئاسة الدكتورة لينا عبود كريم المديرة المنسقة للمركز بالسيد رئيس الجمعية النفسية العراقية. وتم الاتفاق على التعاون بين الطرفين في مجال اقامة الدورات والمحاضرات في اختصاصات الارشاد النفسي والاختبارات والقياس النفسي.

★ افتتحت الجمعية النفسية العراقية في شباط الماضي موقعها العلمي والثقافي على شبكة الانترنيت، على العنوان: http:// www.iraqpa.thefreeserver.com .

*تقرر ان ينعقد المؤتمر العالمي للطب النفسي في القاهرة في ايلول ٢٠٠٥م، برعاية الجمعية الطبية النفسية الدولية والجمعية الطبية النفسية المصرية.

★ باشرت ((المجلة الالكترونية للعلوم النفسية)) بالصدور على شبكة الانترنيت، ضمن موقع ((شبكة العلوم النفسية العربية)): http://www.arabpsynet.com.

احلام اليقظة بين الحس الشعبي والبحث العلمي

علي تركي فاضل /جامعة القادسية

(نخط على الماء او نبني قصوراً في الهواء) عبارة تشير الى ظاهرة عرفت بإسم (احلام اليقظة) تلك الظاهرة النفسية التي عرفت منذ زمن بعيد، وارتبطت ارتباطاً شديداً بالطقوس والشعائر الدينية لدى القبائل البدائية والحضارات القديمة، فمما يشبه حلم اليقظة هو ما تمثله تلك الطقوس والشعائر من تصرف او عمل جماعي ينشأ من ترنيمات مسرحية مقدسة. وقد كان مصيباً من قال:(الاساطير تمثل احلام الشعوب) فإحلام الفقراء بالثروة وبمفرداتها (الطعام اللذيذ والقصور الفخمة والنساء الجميلات) هي جزء او نوع من احلام الشعوب، وهذا ما يتمثل بين دفتي كتاب الف ليلة وليلة.

والحقيقة ان الكثير من الناس ينكر وجود هذه الظاهرة لديه، على الرغم من ان الجميع يخبرونها قليلاً او كثيراً دون ان يلحظوا ولعهم بها، ويكشف ذلك الاصغاء الظاهري لدى الشخص في حين انه في الحقيقة يسبح في عالم الاحلام الفسيح.

ويمكن القول ان احلام اليقظة هي ما ينشغل به الفرد من افكار وخيالات خلال الفترات التي تمثل انخفاضاً في درجات وعي وسيطرة الفرد على الواقع. فإذا ما اصبح من الممكن متابعة الزمن الذي يقضيه الناس في حالات كهذه خلال اليقظة في اليوم الواحد لوجد بأنهم يقضون جزءاً كبيراً من يقضتهم في غفلة اما جزئية او كلية عن الواقع.

وقد يخوض موضوع احلام اليقظة في اي مجال من المجالات، فقد يعود الى ذاكرة قديمة، او يتركز على مشكلة قائمة ويمدها الى المستقبل بطرح احتمالاتها الممكنة ونتائجها. وقد يكون موضوع حلم اليقظة عائلياً او سياسياً او اقتصادياً، او قد يتخذ من المجالات الادبية والفنية او الابداعية توجهاً له. ويمكن للحالم ان يخوض في هذه المواضيع بإمعان، او ينتقل من موضوع الى آخر.

كما يمكن ان تعكس الاحلام التغيير الذي يحصل في دوافع الفرد مع العمر او مراحل الحياة، فموضوع احلام اليقظة عند الاطفال الصغار يدور حول اللعب والتسلية بأشكالها المختلفة، وفي السن الاكبر منه قليلاً تتركز على الاغلب في موضوعات ذات طابع اجتماعي، وهي عند المراهقين تدور بشأن الجنس الآخر والمكانة الاجتماعية، ولدى الراشدين تمتلى بأفكار النجاح في العمل وتحقيق الثروة والقوة والاهداف المقبولة اجتماعياً.

والحقيقة ان مسيرة البحوث العلمية في موضوع احلام اليقظة التي بدأت بشكل جدي منذ اكثر من نصف قرن، تطرح حقيقة مفادها انه كلما تعمق الباحثون اكثر في دراسة احلام اليقظة، اصبحت فوائدها المحتملة مفيدة اكثر. ويبدو الآن ان لأحلام اليقظة جذورها العميقة في البناء النفسي للفرد، وترتبط بطريقة او بأخرى بكل حياته. واذا جاز لنا الاستعانة هنا بالبايولوجيا، فإن هناك قاعدة بايولوجية رئيسة ترى ان الكائنات الحية تفقد بالتدريج اي قدرات او ميول لديها اذا ما توقفت عن ممارستها، وبما ان البشر يقضون نصف نشاطهم الذهني تقريباً في نوع معين من احلام اليقظة، وان اي شيء يؤديه الناس على نحو مكثف، يجب ان يخدم وظائف مهمة معينة، اذن يمكن القول ان احلام اليقظة لو كانت من غير فائدة، لأصبحت ممارسة الناس لها اقل بكثير مما عليه الحال.

وعلى الرغم من هذا، فإن ما عرف عن احلام اليقظة وخاصة في الميدان الشعبي او الحس الشعبي كان ظالماً لها ظلماً كبيراً، فقد عدت ظاهرة سلبية وضارة تبعد الفرد عن التفكير الواقعي او انها ليست ذات فائدة اعلى اقل تقدير الا ان البحوث النفسية اثبتت ان لهذه الظاهرة وظائفها الانفعالية وفوائدها المعرفية الكبيرة التي تقدمها للفرد مجاناً وبتلقائية دون ان يبذل جهداً فيها. ومن هذه الفوائد، انها تقدم بعداً آخر من حيث الزمان والمكان بأن تمد الواقع الى ابعد مما هو عليه، الى زمان ومكان آخرين، وتمكن الفرد من الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل. كما انها يمكن ان تكون اداة لتنظيم الذات بواسطة احاطتها بالمتعلقات الحالية للذات، وتحتفظ بذات مطلعة على مفكرة الفرد اليومية (اجندة) اذا جاز التعبير، اي انها تذكر الفرد بإهتماماته صحيحة.

ويمكن ان تعد احلام اليقظة ادوات تلقائية للتعلم والتخطيط من خلال اعادة الخبرات الماضية، فكثيراً ما تكون هناك احداث ماضية غير مفهومة، يمكن للناس ان يستعيدوا مشاهد افعالهم وخياراتهم الماضية ويحصلون على ادراك جديد لها.

وقد تساعد احلام اليقظة الناس بالتعرف على خياراتهم بشكل افضل بواسطة عرض السيناريوهات المستقبلية التي يمكن ان تكون مقابلات او محاضرات او مغازلات رومانسية، فيتعرفون على الاحتمالات المختلفة، وبغربلتها يتخلصون من اقل الاحتمالات جاذبية، ويتوجهون نحو الافعال الاكثر فاعلية. كما يمكن القول ان احلام اليقظة تعد تهيئة وتحضير لفعالية افتراضية اكثر من كونها اتماماً لهذه الفعالية او تحقيقاً لها.

وتحفز احلام اليقظة الافراد نحو النشاطات الجنسية او التصدي للمؤثر العدائي، وتساعدهم على الاسترخاء عند مواجهة الاجهاد والالم او التعايش معهما. كما انها استخدمت في العلاج النفسي كأداة واعدة للمنفعة في هذا المجال، فقد وجدت الدراسات تأثيراً ايجابياً على المرضى المصابين بالاكتئاب، عند استخدامهم لأحلام اليقظة كوسيلة علاجية.

ولا ينبغي ان يغيب عن الذهن، الاهمية القصوى لأحلام اليقظة في الحياة الابداعية، فتعد هذه الاحلام نقاط انطلاق وقائع القصة الادبية، بمعنى انها ارض خصبة لأفكار مبتكرة، فهي قد تكون حدثاً ضرورياً لأنواع اساسية من الابتكار.

وفي نظرة شاملة، فإن بإتمام هذه الفوائد قد تكون احلام اليقظة كذلك طريقة لإثبات الذات من خلال الاحساس المستمر بالهوية الذي يحدث عن طريق الاتصال بين الماضي والحاضر والذات المستقبلية.

ولو توقفنا قليلاً عند احلام اليقظة لدى الفرد العراقي، فهو كغيره في اي مكان من العالم يحلم يقظاً واحلامه لا تختلف من حيث السياق العام عن احلام اي فرد في مجتمع آخر، لأن الانواع الرئيسة لأحلام اليقظة متماثلة عبر الحضارات وموجودة في اي مجتمع، الا ان محتوى تلك الانواع الرئيسة وتفصيلاته يكون مختصاً بهذا المجتمع او ذاك. فقد حلم الفرد العراقي خلال الحقبة المظلمة السابقة بحياة امينة بلا حروب وبجنود يعودون من جبهات الموت سالمين، وبحياة رغيدة لا تزورهم فيها القنابل والصواريخ حاملة معها الموت والدمار. وبسبب القيود والممنوعات وشظف العيش تضاءل حجم الحلم العراقي الى ادنى مستوياته فأصبحت ربة البيت تحلم بمقتنيات المطبخ البسيطة او بقطعة اثاث، واصبح الرجل يحلم ببذلة انيقة يرتديها ولو في المناسبات، وقد نجد من حلم بأكلة لذيذة في مطعم ما، لا يستطيع تناولها الا اذا دفع راتبه لأشهر عديدة، وقد نجد من حلم بشراء جهاز تسجيل او اقتناء كتاب، نزولاً الى احلام اصغر واصغر واصغر. فشكراً للحلم لأنه كان النسمة الباردة اللطيفة في تموز معاناتنا وكان الانامل الرقيقة التي كفكفت دموعنا وداعبتنا لتزرع البسمة على شفاهنا والامل في اذهاننا وتشدنا بإتجاه المستقبل.